7 – نظرية هنري بيرينPirenne thesis

يرى المؤرخ البلجيكي هنري بيرين ان وصول العرب المسلمين الى منطقة البحر المتوسط واندفاعهم نحو الشمال الإفريقي في سنة (634م) وفتحهم الأندلس عام (711م) قد أدى الى تحويل منطقة البحر المتوسط الى **بحيرة إسلامية** Islamic Lake ،بعد أن كانت حتى أواخر القرن الثامن الميلادي **بحيرة رومانية** Roman Lake. وقد عبر عن نظريته في كتابه الذي صدر بعد وفاته[4] **(محمد وشارلمان)** Mohamed and Charlemagne. وهكذا فأن القبائل الجرمانية لم تؤد الى سقوط الإمبراطورية الرومانية بل ان وصول العرب المسلمين الى اسبانيا وانتشارهم في السواحل الشرقية للبحر المتوسط هو الذي قضى على الثقافة والحضارة الرومانية في المنطقة ، **"فأصبح العالم يدور في فلك بغداد بعد ان كان يدور في فلك روما لعدة قرون"**، وفقا لرؤية بيرين .

ولم يكن مستغرباً ان يرى بعض المؤرخين وفي مقدمتهم جون لامونت[5] J. La Mont وهنري بيرين Henri pirenne في عهد شارلمان وتتويجه في سنة 800م البداية الحقيقية للعصر الوسيط. فقد شهد عهده ، من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين ، اكتمال التحول من العصر القديم الى الوسيط ، وقد اتضح ذلك بسلسلة من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفكرية التي شهدها العصر الوسيط . وطبقاً الى بيرين ، فان عهد شارلمان حقق تحولاً سياسياً واقتصاديا جذريا ميزه عن العهد الميروفنجي . فاذا كان الميروفنجيون قد استمروا في مؤسساتهم وتنظيماتهم معتمدين على النظام الروماني المرتبط بمنطقة البحر المتوسط ، فان الكارولنجيين ، وابتداءاً من عهد شارلمان ، انعطفوا نحو بحر الشمال ، واقاموا سلسلة من المؤسسات الجديدة التي اصبحت ذات اهمية كبيرة في حضارة العصر الوسيط . وقد كان لانتشار الاسلام في الشمال الافريقي واسبانيا ، وتحول البحر المتوسط الى بحيرة اسلامية ، اثر كبير في هذا التحول الاقتصادي والسياسي في عالم العصر الوسيط. وكانت نتيجة هذا التوسع الانفصال النهائي بين الشرق والغرب ، ونهاية وحدة البحر المتوسط . فاصبحت افريقيا واسبانيا ، اللتان كانتا سابقا جزءاً من الغرب ، تدوران في فلك بغداد . واصبح البحر المتوسط بحيرة

([4]) توفي هنري بيرين عام 1935 ، وكان قد كتب غالبية مادة الكتاب عندما كان مسجونا من قبل النازيين . وأصدر إبنه جاك بيرين الكتاب عام 1937 .

([5]) طرح لامونت فرضيته في كتابة

J. La Mont, the World of the Middle Ages, New York, 1949, pp. 41-44.

مقتبس في : جوزيف نسيم يوسف ، دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1988 ، ص125.

Scanned with CamScanner

إسلامية . ولأول مرة ، انتقل محور الحياة في اوربا الى الشمال ، وكان من نتيجة ذلك انتهاء الدولة الميروفنجية ، التي كانت متوسطية في توجهاتها ، وولادة سلالة جديدة هي الكارولنجية، التي اصبح مركزها في شمال المانيا[6] .

تحالفت البابوية مع هذه السلالة الجديدة ، وانفصمت علاقتها بالامبراطور البيزنطي ، الذي ارهقه الصراع مع المسلمين ، ولم يستطع الاستمرار بحماية البابوية من أعدائها . كل هذه النتائج اصبحت واضحة في عهد شارلمان ، ليبدأ عصر جديد هو الذي أطلق عليه العصر الوسيط . فاضمحلت في الحقبة الممتدة بين سنتي 650و750م تقاليد العصر القديم ، وبرزت عناصر جديدة على السطح . لقد اكتمل هذا التطور في سنة 800م ، بتشكيل الامبراطورية الجديدة في الغرب ، التي اصبحت منافسة للإمبراطورية البيزنطية في الشرق[7] .

على الرغم من النقد الواسع الذي وجهه المؤرخون الغربيون لنظرية هنري بيرين وشككوا في صلاحيتها في تفسير التحول من العصر القديم الى العصر الوسيط[8]، فان مجرد الربط بين عهد شارلمان ووصول الحضارة العربية الاسلامية الى جنوب أوربا ، وسواحل البحر المتوسط ، والتداخل بين السياسات الكارولنجية والبيزنطية والبابوية والعربية الاسلامية، كان احد الاسباب الرئيسة التي دفعتني الى تتبع موضوع العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية ومدى ارتباطها بالتاريخ الاوربي الوسيط .

8- **عوامل أخرى:** الى جانب الآراء المشار أليها سابقاً هناك عوامل أخرى أشار اليها بعض المؤرخين فيرى البعض ان سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب جاء بسبب انحلال مؤسسة العبودية التي كانت المعين الذي لا ينضب لتجهيز المجتمع الروماني بالقوى العاملة التي أسهمت في ديمومة الإمبراطورية ،الا ان انهيار هذه المؤسسة أدى الى ضعف الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتمد الى حد كبير على العبيد فكانت هذه المؤسسة كما يرى احد المؤرخين **"الطاقة التي توفر للمجتمع الروماني أسباب البقاء".**

نستخلص مما سبق ان أهم أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية ما يأتي:

([6]) للتفاصيل عن نظرية هنري بيرين وارائه ، يراجع :

Henri Pirenne , Medieval cities , princeton , princeton university Press , 1948 , pp. 3-25; Henri Pirenne , Muhammed and Charlemagne , London , George Allen & Unwin Ltd , 1953 , pp. 284 – 285 ; Henri Pirenne , Economic and social History of Medieval Europe, London , Routledge & Kegan paul Ltd , 1953 ; pp. 1-39 .

([7]) Henri Pirenne , Muhammed and Charlemagne , pp. 284 – 285

([8]) حول نقد نظرية هنري بيرين ينظر :

Howard L. Adelson and (Others) , Medieval Commerce , London , D. van Nostr and co., 1962 , pp. 39 – 42 .

Scanned with CamScanner

1- العوامل الزراعية :

أ- قلة مصادر المياه.

ب-إهمال الري.

ج-سياسة الاكتفاء الذاتي نتيجة لفقدان الأمن وقلة الأيدي العاملة.

د- التشدد في جباية الضرائب مما أدى الى هروب الفلاحين.

2- الصناعية والتجارية.

أ- قلة المعدنين الثمينين الذهب والفضة حيث يمثل هذان المعدنان الوسيلة الرئيسة للتعامل التجاري.

ب- ان الصناعة الرومانية كانت للاستهلاك المحلي.

ج- اعتمدت الصناعة على نظام العبودية ولم يتم تعويض نقص الأيدي العاملة.

د- ازدراء الرومان للحرف الزراعية والصناعية لان هذه الحرف هي من اختصاص العبيد ولا يعمل الأسياد فيها.

ثانياً- العوامل الاجتماعية:-

أ- الصراع بين الارستقراطية والفلاحين ودخول الجيش الى جانب الفلاحين.

ب- انتشار الترف بين الطبقات الارستقراطية الحاكمة وإهمالها شؤون الحكم.

ج- انتشار الإمراض وعدم قدرة الإمبراطورية القضاء على هذه الإمراض.

ثالثاً- العوامل السياسية والإدارية:

1- إصلاحات دقلديانوس .

2- هجوم القبائل الجرمانية وعدم قدرة الإمبراطورية الدفاع عن حدودها.

هذه هي أهم العوامل لسقوط الإمبراطورية الرومانية، ويتضح من خلالها ان ضعف النظام السياسي وعدم إيفائه بمتطلبات المرحلة أدى الى التأثير سلباً على العوامل الأخرى ،اذ تفاعلت العوامل السياسية مع العوامل الاقتصادية والاجتماعية لتؤدي الى انحلال وسقوط المجتمع الروماني الذي تمخض عنه سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب (476م) وبداية مرحلة جديدة في تاريخ أوربا هي مرحلة العصور الوسطى.

Scanned with CamScanner